

القصيدة النبوية البديعية بين الإبداع الشعري
مقاربة نصية بين البردة البوصيرية وبديعية مواهب البديع لابن الخلف القسنطيني.

The poem Ennabawia Albadia between following and poetic creativity

A textual approach between Alborda Albowaisiria

and Badiiat Mawahib Albadie Fi Ilm of Albadie of Ibn Alkhalouf Alqasantini

حكيمة بوشاللق*

جامعة المسيلة (الجزائر)

Hakima.bouchelaleg@univ-
msila.dz

ملخص:	معلومات المقال
تعتبر القصيدة البديعية أو البردة البديعية فنا من الفنون المستحدثة عن قصيدة المديح النبوي، بل هي جزء منها، جاءت بألوان البديع والزخرف اللفظي والمعنى الجميل، مقتفية أثر نص البردة البوصيرية التي أصبحت النموذج المكتمل الذي يُحتذى به والتي استنسخت منها نصوصا نبوية عديدة: كقصائد المولديات والنعاليات والحجازيات وهذه البردة البديعية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . ولعل أهم شاعر اتبع البوصيري وتأثر به هو الشاعر ابن الخلف القسنطيني، وذلك من خلال التشكيل الموضوعي الذي سنلاحظه في بديعته مواهب البديع في علم البديع.	تاريخ الارسال: 2022/01/16 تاريخ القبول: 2022/04/13
	الكلمات المفتاحية: ✓ محمد بن سعيد البوصيري ✓ ابن الخلف القسنطيني ✓ البردة ✓ البديعية ✓ التشكيل الموضوعي
Abstract : (not more than 10 Lines)	Article info
Abstract: This poem, Alborda Albadia, is considered as one of the newly introduced arts about Almadifi Ennabawia. It's rather a part of it. It comes with poetic colours, a mixture of utterance and beautiful sense following the text of Alborda Albowaisiria,	Received 16/01/2022 Accepted 13/04/2022

which becomes the full roll sample. It recopies from it several texts like the poems of Almowalidiat, Ennaaliat, Alhijaziat and this Borda Albadia.

The most important poet followed Albowaisiri is Ibn Alkhalouf Alqasantini through the objective formulation noticed in his poem "Mawahib Albadie Fi Ilm Albadie"

Keywords:

- ✓ Mohammed Ben Said Albowaisiri
- ✓ I
- ✓ Alborda
- ✓ Albadia
- ✓ the objective formulation

1. مقدمة:

لقد نظم الشعراء العديد من القصائد النبوية التي مدحت الرسول صلى الله عليه وسلم ذاكين سيرته العطرة؛ وذلك بتعداد صفاته الخلقية والخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته، وزيارة قبره، والأماكن التي ترتبط بحياته صلى الله عليه وسلم، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، واجتهدوا أيضا في نظم سيرته شعرا ونثرا، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما، مبتدئين قصائدهم بمقدمات نسيبية نبوية، مختتمين بمناجاة لكسب رضاه تعالى ونيل شفاعته صلى الله عليه وسلم.

كما تنوعت القصائد النبوية وتعددت لكنها بقيت محافظة على نمط ونموذج البوصيري في برده التي أصبحت النموذج المكتمل لكل قصيدة نبوية، من هذا نطرح الإشكالية الآتية: ماهي التشكيلات الموضوعية والمقاربات النصية بين البردة البوصيرية وبديعية مواهب البديع في علم البديع لابن الخلوف القسنطيني؟

2. محمد بن سعيد البوصيري.

1.2 حياته:

هو سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج بن ملال الصنهاجي، كان أحد أبويه من أبوصير، والآخر من دلاص، فركبت له نسبة منهما، وقيل الدلاصيري لكنه اشتهر بالبوصيري¹.

وقال ابن تغري بردي: "وكانت له - يعني البوصيري- أشياء مثل هذا يركبها من لفظتين مثل قوله كساء بساط، فقيل لماذا تسميه ذلك؟ فقال: لأنني تارة أجلس عليه، وتارة أرتديه، فهو كساء وبساط، إلا أن هذا اللقب ظل مجهولا، ولم يشتهر إلا بالبوصيري، ويكنى بشرف الدين².

كما يذكر بأن المؤرخين ابن تغري بردي (ت874هـ) و المقريزي (ت845هـ) اختلفا في اسم البلدة التي ولد فيها البوصيري، فقد رأى ابن تغري أن مولده كان بهشيم من أعمال الهندسا، في حين يرى المقريزي أنه ولد بناحية دلاص، ولكنهما اتفقا على أنه ولد في يوم الثلاثاء أول شوال 607هـ/ 608هـ أو 610هـ³، الموافق لـ 1212م⁴، وتوفي بالإسكندرية سنة 696هـ، الموافق لـ 1297م⁵. وللإمام البوصيري مقام ومسجد بمدينة الإسكندرية، قبالة مقام وجامع أبي العباس المرسي، حتى قيل: «إنه جاوز أستاذه في حياته وبعد مماته»⁶.

وقد عاش في عصر المماليك أيام السلطان الظاهر بيبرس، الذي غيّر نظام القضاء بعد أن كان يتولى القضاء قاض واحد، ينتمي إلى المذهب الشافعي.

ويبدو أن البوصيري في صغره قد بحث عن أسباب الثقافة فحفظ القرآن الكريم، ثم درس الأدب والعلوم الدينية، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض⁷، كما أخذ آداب التصوف عن الشيخ أبي العباس المرسي (ت686هـ-1287م) خليفة أبي الحسن علي بن عبد الله مؤسس الطريقة الشاذلية، ويقال: بأن البوصيري قد تأثر بتعاليمها، ودرس آداب الصوفية وأسرارها⁸. إذا كان البوصيري قد أخذ نصيبه من القرآن الكريم والنحو والصرف وجانباً من التاريخ الإسلامي وبخاصة السيرة النبوية فإنه

كان يطالع أيضا المؤلفات التي يضعها النصارى واليهود تأييدا لأديانهم، لكنه رأى فيها إنكارا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فدعاه ذلك إلى دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة، كما درس تاريخ ظهور المسيحية، ثم أخذ يرد على أصحاب هذه الديانات. ويقال عنه أيضا: "أنه نجم المادحين، وخيرة العارفين بالله، والمحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جياش العاطفة في محبته صلى الله عليه وسلم، صادق الإيمان، قوي اليقين، تدفقت شاعريته المهمة بالعديد من القصائد الدينية"⁹.

2.2 شعره:

يحفل ديوان البوصيري بعدد من القصائد الشاهدة على استيعاب للسيرة النبوية ومعرفة بدقائق النبي، وعلى نفس فاضت بحبه صلى الله عليه وسلم، فأوقفت شعرها على مدحه، والدود عن رسالته، والرد عن المناوئين لها، واللجوء إليه لطلب الشفاعة.

ويبدو أن شعره في المديح النبوي استوحى العديد من ملامحه ومعانيه وصوره من قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" التي تعد باكورة هذا الفن.

على أن شعر المديح النبوي الذي زينه المحافل المولدية في البلدان العربية الإسلامية منذ قرون وإلى أيامنا هذه، استوى على سوقه وأصبح غرضا له معجمه وبنيته وعاطفته وصوره وفنائه خصائصه وقواعده وأصوله، مع البوصيري الذي كان سلوكه الصوفي المفعم بالمحبة النبوية عاملا آخر من العوامل التي كانت وراء استفراغ طاقته الشعرية ومعرفته الدينية والتاريخية لمدح النبي صلى الله عليه وسلم¹⁰، وهذا اللون يكاد يكون أبرز الفنون في العصر المملوكي¹¹.

3. شهرته من خلال برده.

ولعل أيضا سبب شهرة البوصيري في قصيدته البردة التي تعتبر أهم القصائد بين المدائح النبوية، إذ أنها أصبحت مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وعن سبب وضعه لهذه القصيدة، قال: "كنت قد نظمت قصائد فيمدح الرسول صلى الله عليه وسلم منها ما كان اقترحه علي صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن صاحبي فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها، واستشفعت بها إلى الله تعالى أن يعافيني، وكررت إنشادها وبكيت، ودعوت وتوسلت، ونمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت في نهضة فقمته وخرجت من بيتي"¹².

4. البردة وأقسامها وموضوعاتها وأثرها.

4.1. التشكيل الموضوعي لقصيدة البردة:

تقع البردة* في اثنين وستين ومائة بيت¹³ ومطلعها [من البسيط]¹⁴:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَانٍ بَنِي سَلَمٍ	***	مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بَدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ	***	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرَقِّ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ	***	وَلَا أَرَقْتَ لَذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ
يَا لَائِي فِي الْهَوَى الْعُدْرِي مَعْدِرَةً	***	مَنْبِي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تُلِمِ

والبردة عدة أقسام¹⁵:

القسم الأول: في الغزل وشكوى الغرام

القسم الثاني: في التحذير من هوى النفس

القسم الثالث: في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

القسم الرابع: في مولد عليه السلام.

القسم الخامس: في معجزاته صلى الله عليه وسلم

القسم السادس: في سر القرآن الكريم

القسم السابع: في إسرائه ومعجازه صلى الله عليه وسلم

القسم الثامن: في جهاده عليه السلام.

القسم التاسع: في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

القسم العاشر: في الاستغفار والمناجاة وعرض الحاجات.

ويختتمها بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ومناجاة المولى عز وجل وطلب غفرانه له ولجميع المسلمين:¹⁶

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ	***	ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدَمِ
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي	***	مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمِّ
حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ	***	أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ	***	سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ
يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى بَلَّغْ مَقَاصِدَنَا	***	وَاعْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ
وَاعْفِرْ إِلَهِي لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ بِمَا	***	يَتْلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَفِي الْحَرَمِ
بِحَاجَةٍ مَنْ بَيَّنَّتْهُ فِي طَيْبَةِ حَرَمٍ	***	وَأَسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَسَمِ

ويبدو أن البردة ما زالت تحتل -كما يقال- المكان الأول بين المدائح النبوية وكل الأشعار التي خاض ناظموها في هذا المجال شرفاً لهم.

كما حظيت البردة بمكانة لم تصل لها أية قصيدة سواها، وخاصة عند أهل التصوف، وإذا كان مقياس خلود العمل الأدبي هو الاهتمام من الناس والانتشار؛ فإن البردة -كما ذكر- نالت الخلود والشهرة في العالم الإسلامي واحتلت مكانة أدبية فريدة في الأدب العربي، وفي الآداب العالمية¹⁷، شرقاً وغرباً وحفظها العام والخاص، وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار، وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات.

وأخذت البردة أسماء كثيرة منها¹⁸:

-الكواكب الدرية في مدح خير البرية؛ لاشتغالها على مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم

-البردة؛ لأن الناظم -كما قيل- برئ بسببها من علة.

-الشدائد؛ لأنها تقرأ لتيسير العسير.

-والبردة؛ لأن الشاعر أراد التبرك بقصيدة كعب بن زهير

4. 2. أثر قصيدة البردة في المدائح النبوية:

لقد أثرت ميمية البوصيري في المدائح النبوية تأثيراً عميقاً، لأنها تعد من أهم القصائد بين المدائح النبوية، فهي أولاً قصيدة جيدة، وهي ثانياً: أَسْبَغُ قصيدة في هذا الباب، وهي ثالثاً: مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولها تأثير كبير سواء من حيث المضمون أو الشكل.

أما من حيث المضمون فقد نقلت المدائح النبوية من المدح المعتاد للنبي الرسول صلى الله عليه وسلم بأوصافه المشهورة المعروفة، إلى أوصاف مبالغ فيها على نحو إعجازي خارق بالغ المثالية، بالغ الكمال، وبالغ الجلال...، يرقى بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى درجة كبيرة، ويسمون هذه الأوصاف (الحقيقة المحمدية) التي يدعي المتصوفة أن غيرهم لا يعرفونها¹⁹.

أما من حيث الشكل فقد جعلت المدائح النبوية تتكون من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول: يسمى النسيب النبوي، وهو التشوق إلى

المدينة النبوية التي تضم قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفيها جرت أغلب أحداث سيرته، ويتلو هذا النسيب بعض الحكم التي تحذر من الدنيا وأهواء النفس.

الجزء الثاني: مدح النبي صلى الله عليه وسلم وعرض سيرته وهذا الجزء هو غرض القصيدة، وفيه يذكر الشاعر سيرته من مولده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، ويتكلم عن معجزاته وخصائصه.

الجزء الثالث: هو إقرار الشاعر بذنوبه وطلب العفو عنه... وفي هذا الجزء الأخير يختتم البوصيري قصيدته بالصلاة والسلام الدائمين على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الجزء يكثر فيه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به²⁰.

5. بديعة ابن الخلوف القسنطيني:

5.1. الشاعر:

هو أحمد بن عبد الرحمان الشهاب أبو العباس بن أبي القاسم الحميري الفاسي الأصل، القسنطيني المولد، التونسي الدار، المغربي المالكي، ويعرف بالخلوف، وُلِدَ في ثالث المحرم سنة تسع وعشرون وثمان مائة 829هـ - 1425م بقسنطينة، وسافر به أبوه هو في المهد إلى مكة فأقام معه فيها أربع سنين، ثم تحوّل إلى بيت المقدس فُقِطَنَ²¹.

لقد اجتمعت في الشاعر ابن الخلوف الأنساب والأصول المتعددة والمتجانسة في مضمونها، فهو فاسي مغربي الأصل، قسنطيني جزائري المولد، حجازي فلسطيني النشأة والثقافة، تونسي الدار والقرار والشهرة الأدبية.

فالشاعر إذن تتمثل فيه أبعاد القومية العربية بكل أصولها وفروعها²²، ضف إلى ذلك تلك الشاعرية الملهمة التي وظفها في شعره متأثراً بمن سبقه من الشعراء، وبهذا شاعت شهرته الشعرية، وأصبح من المبرزين في ميدان القريض، فكان في مدائحه يبدو ذلك الشاعر المحترف الذي يعيش من صَفَتِهِ، فهو لا يخفى عن ممدوحه حاجته إلى الظفر بالهدايا النفيسة حتى يحقق بها رغباته²³.

وإلى جانب هذا المدح التكميلي نجد له نظماً آخر في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، لا ينوي به جاهاً أو سلطاناً أو تكسبا، ولكن بغية نيل رضى الله تعالى وشفاعة رسوله الكريم، ويتمثل ذلك في بديعته المشهورة المسماة بـ "مواهب البديع في علم البديع".

إنّ هذه البديعية -الميمية- ترجمان لزمان عاش فيه الشاعر، وليئة بأحداثها وتداعياتها، لكننا إذا رجعنا إلى ديوان جني الجنيتين في مدح خير الفرقين لوجدنا القصيدة غير معنونة، إذ بلغت 226 بيت.

فهي تجسّد الصوت المغربي، القسنطيني الأصل، التونسي الدار، إنّها ثلاثية تُثير الحماس والرغبة، والبديعية من عيون الشعر العربي، ومطلعها: ²⁴

أَمِنْ هَوَى مَنْ ثَوَى بِالْبَانِ وَالْعَلَمِ *** هَلَّتْ بَرَاةُ مَزْنِ الدَّمْعِ كَالْعَنَمِ
أَمْ مِنْ بَرُوقِ الْحَيِّ إِذْ لَمَعَتْ *** تَمَّتْ مِمَّا ثَلَّةُ الْأَحْشَاءِ لِلصَّرَمِ

لقد ابتدأت البديعية بقسم غزلي في 80 بيتاً، ثم تليها 80 بيتاً أخرى في المديح النبوي، وآخرها دعاء لنفسه والمؤمنين؛ إذ يقول: ²⁵
يَا رَبِّ سَهِّلْ إِلَى الْجَنَّاتِ مُنْقَلِي *** وَنَجِّنِي بِامْتِدَاحِي مِنْ لُظَى الصَّرَمِ

5.2. التشكيل الموضوعي لبديعية ابن الخلوف القسنطيني

تتكون بديعية ابن الخلوف من ثلاث محطات رئيسية هي:

- براعة الاستهلال: أو حسن المطلع ابتدأها الشاعر بمقدمة طولية غزلية بلغت 80 بيتاً أو ما يسمى (النسيب النبوي).

إنَّ الطلل له دلالاته العميقة، فهو رمزٌ لحقائق جوهريّة في الحياة لمُشاعر، لأهاتٍ وذكريات، حيث يُعدُّ حلقة وصل بين الحاضر والماضي، فلا غزو أن يبقى الشاعر العربي مُحافِظاً على هذا التقليد منذ القديم، ويجعله متنقِّساً له في كُلِّ ما يعاينيه من أزماتٍ نفسيّةٍ أو اجتماعية، أو ثقافية.²⁶

لقد بقيت هذه المقدمة بصمةً لكلِّ القصائد العربية، و"ابن الخلوف" شأنه شأن أولئك الشعراء، فلقد ابتدأ قصيدته بطلع نلمح من خلاله نازراً متَّعدَّةً، وشوقاً متأجِّجاً، وحبّاً يكاد يمزق ضلوعه، وحينئذٍ؛ حيث يقول:²⁷

أَمِنْ هَوَى مَن ثَوَى * بالبانٍ ** والعَلَم	***	هَلَّتْ بَرَاةُ مُزْنِ الدَّمْعِ كالْعَنَمِ
أَم مِنْ فُرُوقٍ *** بُرُوقِ الْحَيِّ إِذَا لَمَعَتْ	***	تَمَّتْ مُمَائِلَةٌ الْأَحْشَاءِ لِلضَّرَمِ
فَاسْتَوْفِ مَدَّ نَوَالٍ مَدَّ نَائِلَةٌ	***	مِنْ مَنْ وَادِعُهُ يَا جَامِعَ الْكَلِمِ
وَصَلِّ بِبَدْرِ مِتْنٍ مَحَاسِنِهِمْ	***	مَضَاهُ لِلَّيْلِ تَمَامٍ مِنْ شُعُورِهِمْ
وَحَيَّ سَلْعًا، وَسَلَّ عَنْ حَالٍ مُخْتَلِفٍ	***	وَاحْضَعْ وَسَلَّ مَا لِسَلَمَى رَكِبَتْ سَقَمِي

لقد تفرَّد الشاعر ابن الخلوف بمطلع القصيدة الغزلي، فقد وَجَدَ فيه متنقِّساً للتعبير عن مكنون ذاته المتألِّقة والمناجية لحبِّ كبير كامنٍ صَدَحَ به في مقدمة بديعته فكان الهوى، آلام البعد والهجران، إنَّها نوع من المناجاة الأليمة، تجلَّى ذلك في سؤاله الاستنكاري: أَمِنْ هَوَى مَن ثَوَى...؟ مازجاً موهبته البديعية والموقف الذي هو فيه، متفرِّداً عن أصحاب المطالع السَّابقة في الشعر العربي.²⁸

فَرَوْعَةُ الشَّاعِرِ تَتَجَلَّى في هذه التوأمة الرُّوحية بين المكان والمحبيب، والألم والسَّعادة، براعة الاستهلال والوقفة الطَّللية، إنَّها نادرة في الشعر العربي، حيث يتَّخِذُ الشَّاعِرُ سبيل الدُّمُوعِ كَمَلَاذٍ لَهُ، فكأنَّها معادل موضوعي لحياةٍ زاهرةٍ كانت وولَّت، لكنَّه لا يبكي المكان بل يتوجع ويبكي حياة وحدانية بأسرها.²⁹ فعياراته "أمن هوى من توى"، "هَلَّتْ بَرَاةُ مُزْنِ الدَّمْعِ"، "ممائلة الأحشاء للضَّرَمِ"، "جامع الكلام"، "حي سلْعًا"، "وسل عن حال مختلف"، "سل ما لِسَلَمَى..." إلخ، عبارات كلُّها تُؤوِّل إلى دلالاتٍ عميقة، وبُنى تحتية انبنت عليها البديعية، و"من لديه أدنى بصيرةٍ يعلم أنَّ للألفاظٍ لذيذة كنغمة أوتار".³⁰

وبذلك تتحول تلك الألفاظ إلى نغمات جميلة، تتقاذفها دوال تثير الجدل والتساؤل حول دلالات وبُنى تفتح مجالاً واسعاً ليسمو القارئ بمخيلته نحو الإبداع في مجال البديع، فتكثر هنا التفاسير والتأويلات حول مضامين البديعيات وتشكيلاتها الموضوعية.

لننقل بعد ذلك إلى صلب الموضوع في البديعية النبوية "مواهب البديع في علم البديع" ونقف عند الجزء الثاني منها وهو في مدح الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

-براعة التخلص: لا تحل بديعية من البديعيات العربية إلَّا وكان فيها ذكر كبير لميلاد الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن خلوف شأنه شأن جل الشعراء الذين تحدَّثوا عن ميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصفاته وشماله ومعجزاته وذكر أصحابه وآله الكرام؛ حيث نجده يقول:³¹

بُشْرَى الدَّبِيحِ * بِنُ فَيَاضِ ابْنِ هَاشِمٍ	***	ابن المغيرة فاعجب بِإِطْرَادِهِمْ
لَمْ يُعَزِّزَيْدٌ لَهُ التَلْفِيْقُ فَاصْبِغْ وَقُلْ	***	مَا كَانَ طَهَ أَبَا ابْنٍ مِنْ رِجَالِهِمْ
كَثُرَ إِدْخَارِي عِلَاقَةُ شَمْسٍ مُرْتَقِي	***	غَوْتُ اضْطِرَارِي صَبَاحِي فِي دُجَى ظُلْمٍ

إنَّ ذكر الشاعر لنسب الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورد في شكلٍ عفوي رائع يُؤمِّنُ لعظمة الممدوح وسموه وجلاله، فهو يجسِّد بطريقةٍ أو بأخرى موقف الشاعر الانفعالي وعاطفته الجيَّاشة المستمدة من حب ثابتٍ وراسخ.

إلى جانب ذكر نسبة صلى الله عليه وسلم في البيت الأول، نجد معه ذكر للنوع البديعي المتمثل في الاطراد. نلاحظ هنا تلك البراعة والمزاوجة بين المضامين المعرفية، الشعرية من جهة والبلاغية من جهة أخرى تصبغها في ذلك جمالية التعبير ووجدانية العاطفة، تسمو بالممدوح وبقدرة ومكانته، إذ يقول في موضع آخر:³²

و اقْصِرْ عَلَيْهِ السَّنَا حَتْمًا، وَمُدَّ بِهِ *** عَالِي السَّنَاءِ وَهُمْ فِي مَدَّ قَصْرِهِمْ
ما الشمسُ إِنْ رَمَتْ تَشْبِيهَا بِوَاضِحَةٍ *** إِلَّا كَكَافُورَةٍ فِي جَوْهَرِ نَظْمٍ
وَلَا الْحُسَامُ إِذَا سُلَّتْ وَغَرَّتْهُ *** مِنْ بَعْدِ نَفْيِكَ إِلَّا الْبَرْقُ فِي الدَّيَمِ
سَهْلُ الرِّضَى وَاللِّقَاءِ وَالْجُودُ مُمْتَنِعٌ *** إِنْ بُدِّلَتْ كَلِمَاتُ الْقَادِرِ الْمُحْتَكَمِ

والأمر يتوقف عند هذا الإبداع فقط وهذا التخلص إذ يتجاوز الشاعر للوصول إلى أعلى قمة إنسانية، تتصارع فيها الأفكار وتتباين الأسرار التي يودُّ كل واحدٍ كشفها والنفاذ إلى بنيتها الدلالية العميقة، فتكون بذلك النفس الإنسانية واحدة منها، يعرج عليها الشاعر ليعترف بذنوبه راجيًا وداعيًا ومتوسلاً في آخر البديعية.

-براعة الختام: يتمثل عادة في كل بديعية بل وفي كل قصيدة نبوية الدعاء والتضرع والتوسل؛ فالشاعر يتأسّى ويودُّ الوصول إلى مبتغاه؛ لأنَّ مدحه وتفننه وإبداعه في بديعيته كان تمهيداً لغاية سامية يروم بلوغها وهي دخول الجنة، والنجاة من النار، ويكون بجانب الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ يقول:³³

يَا رَبِّ سَهِّلْ لِي الْجَنَابَ مُنْقَلِبِي *** وَنَجِّنِي بِامْتِدَاحِي مِنْ لُظَى الْهَرَمِ
واحسن رِيحَان رَجَا ابْنِ الْخُلُوفِ وَجُدْ *** بِالْعَفْوِ وَالْجُودِ يَا ذَا الصَّفْحِ وَالْكَرَمِ
ويرجع إلى التوسل والتضرع لنيل الشفاعة من أكرم الخلق في أرق وأجل معنى وأبهى لفظ إذ يقول:³⁴

وَلَا تَعْسَرْ فَمَّا لِي لِرُجُوعِ يَدٍ *** يَا ذَا الْجَلَالِ يَا ذَا الْإِكْرَامِ وَالْحَرَمِ

لقد تضمن البيت آية من القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)³⁵، طالباً النجاة متحسراً عما بدا منه من خطايا، نادياً عما فعله، فنداؤه هذا من الأعماق، فلم يجد الشاعر مخرجاً يخرج به من حالة اليأس والوهن إلا شعره كترجمة لفكره: لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَذَابِ، إذ يقول:³⁶

وَجَازَنِي بِاخْتِرَامِي فِي مَدَائِحِهِ *** مِنْ غَيْرِ أَمَدٍ وَوَاوَصِلْ وَافِرِ النَّعَمِ

لقد واءم الشاعر في هذا البيت بين الطلب والمعنى الذي من أجله نظم بديعته، وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنَّه الطريق الوحيد لنيل الشفاعة، ثم إنَّه يدعو الله تعالى في النهاية بأن يخلصه من الجحيم ووالديه، إذ يقول:³⁷

وَبِابْتِدَاءِ الْمَدِيحِ خَلِّصْ أَهْلَ مِلَّتِهِ *** وَوَالِدَيَّ وَهَبْ لِي حُسْنَ مُخْتَتَمِ

وفي براعة يختتم الشاعر بديعته من خلال اللون البديعي "حسن التخلص" الذي نادى به ربّه ليخلص أهل مِلَّتِهِ ووالديه من العذاب، متضرعاً لله تعالى أن يهب له "حسن الختام"؛ محققاً بذلك الفائدة العلمية والجمال الفني، مجسداً لفن إسلامي جديد، سواء من حيث التَشْبُع بالمعاني الإسلامية، أو جودة الصياغة والعاطفة الحارة، النَّابِعة من أعماق الوجدان، والمفعمة بأحاسيس مختلفة، بداياتها ومطلعها استهلال وشوق وحنين عن طريق الغزل والنسيب النبوي، وصولاً إلى تخلص وتفريغ لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم مشيداً بصفاته الخلقية والخلقية، وتذكر الأيام والعهود، صادحاً بعظيم معجزاته، معرجاً على آله وصحبه، منتهياً بالتوسل والبكاء، طالباً حسن الختام والإعانة والغفران وندم في مقام الدعاء والتضرع.

تُعدُّ البديعيات نمطاً جديداً من أنماط النموذج المكتمل في غرض المدح النبوي وبالأخص في نص البردة لمحمد بن سعيد البوصيري، لأن هذه القصائد هي امتداداً لها، ونتاجاً عنها، بل هي عبارة عن نصوص مستنسخة منها، مع وجود فوارق كثيرة بينهما ولعل من أهمها:

- أن نص البردة عبارة عن قصيدة طويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بحيث تتضمن ألواناً كثيرة، وتراكيب عديدة سواء من الجهة النحوية الصوتية، أو من الجهة الدلالية بين علي البيان والبديع، دون أن تخص كل أبياتها بلون محدد من ألوان البيان والبديع.

- وأما نص البديعيات فهو عبارة عن قصائد طوال في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بحيث يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع.

الهوامش:

1- محمد بن شاعر الكتي، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1973م، 3/362.

2- مقدمة ديوان البوصيري، ص: 06.

3- ينظر: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1994م، (د.ط.)، ص: 492، وجمال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1997م، 1/464.

4- علي نجيب عطوي، البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1995م، ص: 80.

5- راجع بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، (د.ط.)، ص: 08.

6- محمد الطاهر ابن عاشور، شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، تع: محمد الطاهر بن عاشور الحفيد، مر وتق: عبد الوهاب الدخلي وجمال الدين دراويل، دار الجنوب للنشر، تونس، أوت 2008م، (د.ط.)، ص: 10.

7- ينظر: علي نجيب عطوي، البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها، ص: 80-81.

8- محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ص: 353.

9- أحمد عمر هاشم، الإمام البوصيري وبردة المديح المباركة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الخامسة العدد التاسع عشر، نوفمبر 1997م، رجب 1418هـ، ص: 83.

10- محمد الطاهر ابن عاشور، شفاء القلب الجريح، ص: 11.

11- ديوان البوصيري، شرح: عمر الطباع، بيروت-لبنان، 2002م، (د.ط.)، ص: 22.

12- محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ص: 354.

* جاء في لسان العرب البردة هي البرد وهو ثوب فيه خطوط، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، 1997م، مج: 1، مادة (برد)، وفي القاموس بمعنى: أكسية يلتحف بها، ينظر: الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط6، 1998م، مادة (برد).

13- ينظر: حاشية العلامة الشيخ الباجوري على متن البردة وبها مشها شرح الشيخ خالد الأزهرى على البردة أيضاً، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1326هـ، ص: 03.

14- ديوان البوصيري، ص: 190.

15- محمد أحمد درنيقة، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ص: 354، وينظر: عمر موسى باشا، تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1989م، ص: 633 وما بعدها.

16- ينظر: ديوان البوصيري، ص: 199، 200.

17- ينظر: حسن حسين ثلاثية البردة، بردة الرسول صلى الله عليه وسلم مكتبة مدبولي، مصر، (د.ط. د.ت.)، ص: 12، 13.

18- ينظر: راجع بوحوش، البنية اللغوية، ص: 11.

19- زكي مبارك، المدائح النبوية، ص: 171.

20- ينظر: فيصل بن علي البعداني، حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، مجلة البيان، الرياض-السعودية، ط10، 2006م، ص: 169، 170.

- 21- للاستزادة ينظر: عبد الله حمادي، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1986م، 1406هـ، ص: 146، ابن الخلف القسنطيني، ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين، المعروف بديوان الإسلام، تق وتحق: العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ديسمبر 2004م، (د.ط)، ص: 09.
- 22- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص: 146، 147.
- 23- عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص: 150.
- 24- ابن الخلف القسنطيني، المرجع السابق، ص: 44.
- 25- الديوان، ص: 44.
- 26- نورة بن سعد الله، البديعيات، ص: 87.
- 27- ابن الخلف، مواهب البديع في علم البديع، تحق: حورية رواق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسنطينة، الجزائر، 2003م، ص: 05.
- * ثوى: ثوى بالمكان: أقام ونزل فيه، ويسمى المنزل مَثْوًى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005م، مج: 3، مادة (ثوا)، ص: 56.
- ** البان: شجر يسمو ويطول في استواء، بيت في الهضاب، وثمرته شبه قرون اللُّوباء إلا أنَّ خضرتها شديدة الخضرة ولها حبٌّ ومن ذلك الحب يُستخرج دُهْنُ البان، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005م، مج: 2، مادة (بَيَّن)، ص: 200.
- *** فُرُوق: موضع في ديار بني سعد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005م، مج: 11، مادة (فَرَق)، ص: 172.
- 28- نورة بن سعد الله، البديعيات، ص: 87.
- 29- نورة بن سعد الله، المرجع نفسه، ص: 88.
- 30- حسن ناظم، البنى الأسلوبية -دراسة في أنشودة المطر للسَّيَّاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط: 1، 2002م، ص: 83.
- 31- حورية رواق، بديعية مواهب البديع، ص: 13.
- * الدَّبِيح: إشارة إلى أب الرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن عبد المطلب الذي نذر أبوه ذبحه للكعبة، ثمَّ فُيِدَ بمائة من الإبل.
- ** الإطراد: هو أن يعي الشاعر باسم الممدوح، ولقبه وكنيته، وصفته، واسم أبيه وجدّه وقبيلته غالباً أو ما أمكن من ذلك مُطَرِّدًا متواليًا في بيتٍ واحدٍ من غير تعسف ولا تكلف، ينظر: صفي الدين الحلي، شرح الكافية البديعية، ص: 132.
- 32- حورية رواق، بديعية مواهب البديع، ص: 13.
- * السَّنَا: مقصور ضوء البرق، والسَّنَا أيضًا: نَبْتُ يَتَدَاوَى به، والسَّنَاءُ: من الرفعة والسَّيِّءُ: الرُّفِيع، ينظر محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي، مختار الصحاح، طبعة جديدة ومنقحة، دار الحديث، القاهرة-مصر، 2003م، 1424هـ، باب (السين)، (سَنَ ا)، ص: 181.
- 33- حورية رواق، المرجع السابق، ص: 27.
- 34- حورية رواق، المرجع السابق، ص: 27.
- 35- سورة الرحمن، الآية: 27.
- 36- حورية رواق، المرجع السابق، ص: 27.
- 37- حورية رواق، المرجع السابق، ص: 27.

7. قائمة المراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

- 1- الكتبي، محمد بن شاكر، 1973م، فوات الوفيات والذيل عليها، تحق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت-لبنان.
- 2- ديوان البوصيري، 1955م-1374هـ، نظم شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، تحق: محمد سيد الكيلاني، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1.
- 3- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، 1994م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت-لبنان. (د.ط).
- 4- السيوطي، جلال الدين، 1997م، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1.
- 5- عطوي، علي نجيب، البوصيري، 1995م، شاعر المدائح النبوية وعلمها، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1.

- 6- بوحوش، راجح ، 1982م، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط).
- 7- ابن عاشور، محمد الطاهر ، أوت 2008م، شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح، تع: محمد الطاهر بن عاشور الحفيد، مر وتق: عبد الوهاب الدخلي وجمال الدين دراويل، دار الجنوب للنشر، تونس، (د.ط).
- 8- درنيقة ، محمد أحمد ، 2003م، معجم أعلام شعراء المديح النبوي، تقديم: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، (د.ط).
- 9- هاشم ، أحمد عمر ، نوفمبر 1997م، رجب 1418هـ، الإمام البوصيري وبردة المديح المباركة، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الخامسة العدد التاسع عشر.
- 10- ديوان البوصيري، شرح: عمر الطباع، بيروت-لبنان، 2002م، (د.ط).
- 11- ابن منظور محمد جلال الدين ، 1997م، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، مج: 1.
- 12- ابن منظور، 2005م، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، مج: 2.
- 13- ابن منظور، 2005م، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، مج: 3.
- 14- ابن منظور، 2005م، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، مج: 11.
- 15- آبادي ، الفيروز ، 1998م، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط6.
- 16- حاشية العلامة الشيخ الباجوري على متن البردة وبهامشها شرح الشيخ خالد الأزهرى على البردة أيضا، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1326هـ.
- 17- باشا، عمر موسى ، 1989م ، تاريخ الأدب العربي، العصر المملوكي دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1.
- 18- مبارك، زكي ، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت).
- 19- البعداني، فيصل بن علي ، 2006م، حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، مجلة البيان، الرياض-السعودية، ط10.
- 20- حمادي، عبد الله، 1986م، 1406هـ، دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، ط1.
- 21- القسنطيني، ابن الخلوف ، ديسمبر 2004م، ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين، المعروف بديوان الإسلام، تق وتحق: العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، (د.ط).
- 22- ابن الخلوف، 2003م، مواهب البديع في علم البديع، تحق: حورية رواق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسنطينة، الجزائر.
- 23- حسن ناظم، 2002م ، البنى الأسلوبية -دراسة في أنشودة المطر للسِّيَّاب-، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، ط: 1.
- 24- الرّازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، طبعة جديدة ومنقحة، دار الحديث، القاهرة-مصر،